

سلسلة



إعداد:
د.هيفاء بنت ناصر الرشيد

١٤٤١ - ١٤٤٢

شبهَة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أريد أن أسألك سؤالاً عن **ممارسات "الطاقة"** **والقوانين الروحانية -كقانون الجذب- والرياضات الروحية -كاليوغا- والتأمل التجاوزي ونحوها،** ورأيت كثيراً من طلاب العلم الشرعي يحذّرون منها ويذكرون أنها أوهام وعلوم زائفة وأن فيها مايخالف الاعتقاد الصحيح، والذي أعرفه أنها علوم ثابتة فما هو سبب إنكاركم لها؟

رَد

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أهلاً بك، ويسرني محاورتك حول هذا الموضوع، ولعلنا نبدأ بما ذكرته حول ثبوت هذه الأفكار والممارسات، فإن دعوى الثبوت تحتاج إلى دليل، ولا تصح الدعوى مع عدمه، فأين "ثبتت" صحة هذه العلوم والتطبيقات؟ وما هو الدليل على ثبوتها؟

شبهَة

نستطيع أن نقول: هي ثابتة بالشرع، **فلهذه العلوم ما يؤيدها في شرعنا**، بل قد تكون هذه الأفكار موجودة في ديننا أصلا.

رَد

عندما تقول أنّ فكرةً ما أو ممارسة معينة هي ثابتة بالشرع، فلا بد أن يكون عليها دليل من الكتاب أو السنة، ولا شك أنه لا يوجد دليل صريح مباشر يدل على الموضوع محل النقاش، ومن المعلوم عند الجميع أنه لا توجد آية ولا حديث فيها ذكر لهذه الأمور إطلاقا. ولو سلمت لك -جدلاً- أنها ثابتة في ديننا، أو أنّ وجودها فيه سابق لوجودها عند غيرنا، فما بالنا لا نتمسك بديننا ونترك ما أضافه غيرنا من ألفاظ ومصطلحات وأفكار؟ ألم يقل الله جل جلاله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) [سورة المائدة:٣].

فلا حاجة لأن يستدرك علينا بوذي أو هندوسي أو ملحد ليشرح لنا معنى "القدر" -مثلاً- أو يوضح لنا مفهوم الرجاء "وحسن الظن" بالله.

شبهَة

ولكن لا يلزم أن يكون الدليل صريحا في الحكم، بل الأدلة جاءت عامة يستنبط منها الاستدلال في كثير من الأحيان، ويُقاس الحكم في النوازل المستجدة على الأحكام الثابتة بالنصوص، أليس كذلك؟

رَد

بلى، هذا صحيح، ولكن عملية استنباط الدلالة من الدليل، وقياس الأحكام وتتبع العلل ليس من الأمور التي يتقنها كل أحد، ولا يستطيع أن يفعل ذلك إلا عالم بالشريعة أو طالب علم متخصص ومتمكن، أما أن يُقدم من لا علم له على النصوص ويستدل بها على مايريد أو على مايظن أنه الحق، دون معرفة متقنة بقواعد الاستدلال وضوابطه، فهذا يفضي إلى فوضوية دينية وإخضاع النصوص للأهواء والميول الشخصية، فيأتي كل شخص ليفسر على هواه، ويفهم النص حسب مراده، وقد قال الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [سورة الإسراء:٣٦]

وقال ﷺ:

[من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار] *

* رواه الترمذي وقال حديث حسن، وضعّفه الألباني. في باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٢٩٥٠/ ٥/ ١٩٩). والنسائي في باب من قال في القرآن بغير علم (٨٠٣٠/ ٧/ ٢٨٥).

شبهَة

بعض الاستدلال يكون بالنص مباشرة، لا يحتاج إلى استنباط وقياس، بل يُفهم بمجرد قراءة الآية أو الحديث، وفي تلك الآيات والأحاديث نجد ما يدل على هذه الأفكار والممارسات.

رَد

لا بد أن تعلم أن هناك شرطان للاستدلال بالنص الشرعي:

أولها: صحة النص، فلا يكون الحديث ضعيفا أو موضوعا أو مكذوبا على النبي ﷺ .

ثانيها: سلامة الفهم والتفسير : فلا يمكن أن تأتي بأي نص (آية أو حديث) تظن "أنت" أنه يدل على فكرتك التي تستدل عليها، دون أن تتأكد من صحة الدليل وصحة الاستدلال به.

شبهَة

ومن الذي يضبط هذا الفهم؟ وماذا لو اختلفنا في فهم آية أو حديث معين؟ فهل يلزمني أن أفهم ما تفهمه أنت من النص؟

رَد

لا يلزمك فهم ما أفهمه "أنا"، ولا يلزمني فهم ما تفهمه "أنت"، فكلانا لا يُعتبر فهمه حجة في الواقع، بل يجب علينا جميعا التزام فهم جمهور السلف الصالحين للنصوص الشرعية، ومنهجيتهم في تفسيرها، خاصة فيما يتعلق بالعقائد والغيبيات.

شُبهَة

ومن هم "السلف الصالحين"؟

رَد

السلف -في اللغة- معناه المُتقدّم على غيره في الزمان، والسلف الصالحين هم صدر هذه الأمة والقرون الثلاثة المفضلة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأتباع التابعين، ويدل على ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال:

[خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ]. *

ويدخل في حكمهم كل من اتّبعهم والتزم منهجهم في التفسير.

* رواه البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على جورٍ إذا أشهد (٢٦٥٢/٣/ ١٧١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣/ ٤/ ١٩٦٣).

شُبهَة

ولماذا يُقدّم فهمهم للنصوص على فهمي أو فهم غيري؟

رَد

يقدم فهم السلف على فهم الخلف لأسباب كثيرة، من أبرزها:

١. شهادة الله جل جلاله ورسوله ﷺ بخيرية ذلك الجيل، وفضلهم على غيرهم، كما في قول الله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠].

وقول النبي ﷺ : [خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ]

* سبق تخريجه

وهذه الخيرية عامة غير مقيدة، فهم خير الناس في العبادة، وخير الناس في التقوى، وخير الناس في العلم والفهم.

٢. أن الصحابة شاهدوا الوحي والتنزيل، وعاصروا النبي ﷺ وأدركوا الوقائع والمناسبات وأسباب النزول، والشاهد يرى مالا يراه الغائب، قال شيخ الإسلام: "للصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين فإنهم شهدوا الرسول والتنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على [مراده] " *

ولذلك نجد علي رضي الله عنه -مثلا- يقول:
(سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آيَةٍ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُ بِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ، فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ) *.

٣. أنهم أعلم الناس بلغة القرآن، حيث نزل بلسانهم، "جريا على معهودهم في الكلام وعادتهم في الخطاب من غير تعلم للغة، ولا مدارسة واكتساب لأساليبها" فاللغة التي يفهم بها القرآن والسنة هي اللغة الدراجة في عصر الوحي، وليست الأساليب الحادثة بعد ذلك. ولهذه الأسباب وغيرها لا يمكن أن يُقارن فهم المتأخرين بفهم السلف، فهم أفضل وأتقى وأعلم منا، وشاهدوا من مناسبات التنزيل وملابسات الأحداث ما لم نشاهده، وهم أعلم بلغة نصوص الوحي منا، ولذلك فإن فهمهم -بلا شك- أفضل من فهمنا وأصح وأدق.

* مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٠٠)

* أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧٢٦/ ١/ ٤٦٤)

شُبهَة

هل هذا يعني أنَّ فهمي للقرآن والسنة مُعطّل تمامًا ؟!

رَد

بالطبع لا، فالقرآن نزل باللغة العربية، والنبي ﷺ تحدث بلسان عربي، فبقدر إتقانك للغة العربية ستتمكن من فهم كثير من النصوص بنفسك، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه : (التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل) *

ويقصد بالأخير حقائق الغيبيات مما لايعلمها غير الله سبحانه. فكثير من النصوص يمكنك فهمها بمعرفتك للغة العربية، ولكن ليس جميعها، وليس كل ما تظن أنك فهمته يكون ذلك الفهم صحيحا بالفعل، فبعضها يحتاج إلى توضيح وتفسير من أهل العلم الراسخين، وهنا تحتاج إلى ضبط هذا الفهم بمنهج السلف كما سبق ذكره.

* أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٠)

شُبهَة

هب أن هذه الممارسة ليس عليها دليل شرعي، فهل يلزم ذلك؟ **هناك أمور كثيرة نستفيد منها في حياتنا وليست ثابتة بالشرع**

رَد

هذا صحيح، ولكن يجب أن تعلم أننا إذا أردنا أن نتخذ سببًا لجلب نفع (كالصحة والسعادة والمال والتوفيق) أو دفع ضر (كالمرض أو الأذى أو الهم) فلا بد أن يكون هذا الشيء فعلًا ثابت السببية، وإلا كنا مرتعًا للخرافة والجهل.

والأسباب المقبولة إما أن تكون ثابتة شرعًا (أي بالنص الشرعي) كالدعاء والرقية، وإما أن تكون ثابتة كونًا (بالتجربة العلمية) كالأدوية والعقاقير الحديثة، وقد تكون مشتركة بين الاثنين كالعسل والحبة السوداء مثلًا، وهذا باب واسع جدًا.

أما الأسباب التي لم يثبت تأثيرها شرعًا ولا كونًا فهي من الأسباب الخرافية، بل من الأسباب الشركية، كالتمائم والخيوط التي يعتقد الناس تأثيرها.

فالمقصود أنه لايلزم ثبوت السبب شرعاً ليكون مباحاً، بل من الممكن أن يكون ثابت كوناً، خاليا من المحرمات، ويستفيد منه المسلم دون حرج والحمد لله.

شُبهَة

ولكني -في الواقع- أشعر بتأثيرها، فمنذ تقبلي لهذه الأفكار والممارسات وتطبيقي لها **بدأت أشعر بزيادة في إيماني وقرب من الله** لم أعهده من قبل، فما هو تفسير ذلك؟ وكيف يكون هذا مذمومًا؟

رَد

لا بد أن تحدد -أولاً- معنى "زيادة الإيمان" عندك، وما هو مفهومه ومقياسه؟ فإما أن تقصد بذلك زيادة في المعرفة الدينية الموصلة إلى اليقين، أو أن تقصد به شعور قلبي عاطفي فسرته أنت بأنه "زيادة في الإيمان"، ولي في كلتا الحالتين مقال:

أما معرفة الله سبحانه وتعالى فلها طريقان: الأول تدبر آياته الشرعية، والثاني تأمل آياته الكونية.

فالأول لايكون إلا بالنص الشرعي، فنتعرف على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ونعلم ما يرضيه جل جلاله وما يغضبه وما يحبه وما يبغضه من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والثاني مؤيد للأول، يؤكد للإنسان عظمة تلك الصفات واستحقاق الرب جل جلاله للعبادات، كدلالة المخلوقات على عظمة خالقها وكمال حكمته وقوته ورحمته وغير ذلك، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

ولا يمكن التوصل إلى معرفة الله بطرق مبتدعة ولا رياضات روحية مستوردة، مهما تصور الإنسان أنه يتوصل بها إلى "الحقائق"، فهي ليست سوى أوهام وخيالات يرسمها العقل وينفخ فيها الشيطان، ومن ثم لا يمكن أن يزداد الإيمان -حقيقةً- بممارسة التأملات الشرقية والرياضات الروحية المبتدعة.

وأما مايمكن التعبير عنه برقة القلب أو الشعور العاطفي الذي يجده الإنسان عند ممارسة الطرق غير الشرعية فليس هو مقياس الإيمان وزيادته أبداً، بل هو مجرد لذة حسية أو نفسية تحصل للمرء إذا فعل ما يستثير تلك اللذة، وهذا كسائر الملذات الدنيوية.

أما الإيمان فلا يزيد إلا بالطاعة المشروعة، إذ تقرر ذلك بالنصوص الشرعية، فلا يوجد دليل على زيادة الإيمان إلا ويكون مقترناً بعبادة مشروعة، كالإكثار من الذكر وقراءة القرآن، والعلم الشرعي، والتفكر في آيات الله ونحو ذلك.

إذاً فالمقصود أن اللذة التي يشعر بها الإنسان لا تعني زيادة الإيمان بالضرورة، ما لم تكن مقترنة بالطاعات وفعل الصالحات المشروعة، كما أن اللذة -إذا حصلت- لا تعني أن الفعل ممدوحاً، فكم من المعاصي الكبار يشعر صاحبها باللذة، بل إن النبي ﷺ قد قال: **[حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ]** *

* رواه مسلم في كتاب الجنة ووصفها ونعيمها ونعيم أهلها (٢٨٢٢/ ٤/ ٢١٧٤)

شُبهَة

نعم، قد لا تكون مشروعة في ديننا، **ولكن كثير من هذه العلوم والممارسات موجودة في الكتب المقدسة** عند أتباع الأديان الأخرى، فماذا يدريك لعلها من بقايا وحي صحيح نزل على إحدى الأمم؟ وقد يكون فلان (الفيلسوف) من الأنبياء الذين لم يقصصهم الله علينا

رَد

السؤال الأصوب هو: **وما يدريك أنت أنها كذلك؟ إنما البينة على المدعي، والدليل على من زعم، ومن ادعى أن هذا وحي، أو أن ذاك نبي، فعليه ان يأتي بالدليل القاطع على تلك الدعوى،** والحق أنه لا يمكنه ذلك، بل الأدلة تدل على أنها ليست من الوحي وأن أصحابها لم يكونوا من الأنبياء، ومن تلك الأدلة ما يلي:

١. أن ماتتضمنه أغلب الأفكار والممارسات محل النقاش مخالفة لأصول المعتقد الإسلامي، وهذا دليل أنها ليست من آثار نبوة سابقة، إذ عقائد الأنبياء واحدة وإن اختلفت شرائعهم، قال ﷺ: **[الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ]** *

٢. أنه لو سلمنا -جدلاً- أن مافي كتبهم بقية من الوحي، وقائدهم نبي مجهول عندنا، لما كان ذلك سبب يبيح لنا الأخذ عنه ولا اتباع ما في تلك الكتب، وقد غضب النبيَّ ﷺ حين رأى مع عمرَ رضي الله عنه صحيفةً فيها شيءٌ من التَّوراةِ وقال: **[أوَفي شكٌّ أنتَ يا ابنَ الخطابِ؟! ألم آتِ بها بيضاءَ نقِيَّةً؟ لو كان أخي موسى حيًّا ما وسِعَه إلا اتِّباعي]** *.

فقد نهى النبي ﷺ عن القراءة في التوراة والعمل بشيء مما فيه لما طرأ عليه من التحريف والتبديل، ولاكتمال الدين ونسخه لما قبله، فإن كان هذا في حق نبي الله موسى على السلام، والتوراة التي قرر القرآن أن أصلها من عند الله، فكيف بفلاسفة الشرق وكتبهم التي لا يوجد فيها أثر للتوحيد وعقائد الدين الصحيح؟

٣. أن الله أكمل لنا الدين وأنزل علينا القرآن ناسخاً لما قبله ومهيمناً عليه، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [سورة المائدة:٣].

٤. وقال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [سورة المائدة:٤٨]. فلا حاجة للبحث في غيره عن أسباب الفلاح وسعادة الأرواح، ولا يوجد شيء من الدين لم يخبرنا نبينا ﷺ، وبينها أصحابه رضوان الله عليهم، قال الإمام أحمد: (مامن مسألة يُسأل عنها إلا وقد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها) *.

وبناء على ما سبق، لا يمكن أن يقال إن هذه الخرافات هي من بقايا النبوة أصلا، ولو كانت كذلك لما جاز لنا أن نعدها من الدين، ولا أن نعمل بشيء منها، فكيف وهي أبعد من تكون عن ذلك؟ وفيها من الشرك والإلحاد ما يعرفه كل من اطلع عليها.

* رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (٤/٣٤٤٣ /١٦٧)
* أورده الألباني في إرواء الغليل وحسّنه (١٥٨٩/ ٦/ ٣٤)
* أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٠٠)

شُبهَة

أعلم أن في بعض هذه العلوم والممارسات شرك وانحرافات عقدية، **ولكن أكثر من يتبناها لا يعتقد بما فيها من شرك وإلحاد**، بل يفصل الممارسة عن المعتقدات، ألا يكفي هذا في الحكم بإباحتها؟

رَد

هذا ما يظنه بعض الناس بحسن نية، ولكن تنقيتها -في الحقيقة- غير ممكنة لعدة أمور، من أهمها:

١. **أن هذه الأفكار والممارسات هي في ذاتها مُشكلة،** والحكم فيها مبني على حقيقتها وأصلها الذي بُنيت عليه، وهو أمر لا ينفك عنها ولا يُتصور انفصاله، كما لا يمكن ذبح الخنزير على الطريقة الإسلامية، ولا "أسلمة" البوذية أو تنقية الهندوسية من الكفر، ويوضحه قول الفقهاء "نجس العين لا يطهر" . وهذا لا يمكن أن يتبين بجلاء إلا عند مناقشة كل تطبيق على حدة، وهو ما لا يتسع المقام للبسط فيه.

٢. **أننا لا نشك أن في كثير من تلك الممارسات بعض المنافع المتفاوتة، والأفكار الصحيحة، فلا يكاد يوجد في الدنيا باطل محض إلا وقد اختلط بشيء من الحق،** ولولا ذلك ما راج باطل ولا تقبله أحد من الناس. ولكن وجود الحق والمنفعة لا يعني الإباحة، وإلا لما حُرم الخمر والميسر. فالحكم على الشيء يكون بما يغلب عليه لا ما بما يقل أو يندر.

٣. **أن فصل الأمور الخالية من المخالفات العقدية يتطلب علم متعمق بالعقيدة الإسلامية واطلاع واسع على الأصول الفلسفية للتطبيقات،** فقد يظن أحدهم أن الشيء الذي اختاره لا علاقة له بالأصل الفلسفي، وأنه ليس فيه ما يخالف العقيدة، ويكون الواقع على خلاف ما يظن، لعدم معرفته بالفلسفة والأديان من جهة، ولعدم إتقانه لعلم العقيدة وما يضادها من جهة أخرى.

٤. **لو افترضنا -جدلا- أن أحدا أمكنه استخراج بعض الفوائد من الممارسات والأفكار الروحانية، فسوف يأتِ بفوائد مكررة ليست مختصة بهذه الممارسات،** سواء كانت رياضات أو علاجات أو أفكار. فما الفائدة المرجوة من بذل الجهد لاستخراجها وتنقيتها؟ خاصة مع وجود خطر حقيقي بعدم التمكن من التنقية الفعلية.

ولذلك لو قدّمتُ إليك كأسين من الماء، أحدهما كان نجسا ولكنه تمت تنقيته ومعالجته ليصبح ماء صالحا للشرب، والآخر عذب زلال نقي الأصل والحال.. أيهما ستختار لإرواء عطشك؟ لا أظن عاقلًا سيختار غير الماء النقي احتياطًا لنفسه وبدنه، فما بالنا نحتاط لأبداننا أكثر من احتياطنا لديننا ومعتقدنا؟

أخيرًا، ما الذي يدعونا لأن نتشبه بالبوذية والهندوس وقد أعزنا الله بالإسلام؟ وأكرمنا بالعقول التي توصلنا إلى المعارف المفيدة، فلا نحتاج لخرافات الشرق الروحانية لشفاء أرواحنا ولا أبداننا.

شبهة

من الغريب أنكم تجعلون التشبه بالكفار سبب في تحريم كثير من هذه الممارسات، **مع أنه لا مفر من مشابهة الكفار**، فنحن وإياكم نستخدم التقنيات، ونركب السيارات والطائرات، ونرتدي كثير من اللباس الذي يصنعه الكفار، فما الفرق بين هذا وذاك؟

رَد

أولًا: لا بد أن تعلم أن التشبه بالكفار محرم بالنص الشرعي الصريح، فقد قال رسول الله ﷺ: [مَنْ تَشَبَّه بقومٍ فهُوَ مِنهُم] * وقال ﷺ: [خَالِفُوا اليهودَ والنَّصارَى] * وقال عليه الصلاة والسلام: [خَالِفُوا المَجُوس] *، ولما رأى على عبدالله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين قال: [إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا] * فتحريم التشبه بالكفار هو أمر من الله ورسوله ﷺ، لا يجوز لأحد مخالفته، وليس فكرة مستحدثة اخترعها المعاصرون.

ثانيًا: إذا اتفقتَ معي على تحريم التشبه، فلا بد لنا أن نحرر هذا الحكم، ونوضح ما هو التشبه المحرم حتى نعلم الفرق الكبير بين ممارسة اليوغا –مثلًا- وبين ركوب السيارة، وهو ما سيتضح لك عندما تعرف أن المشابهة أقسام، سأذكرها لك باختصار:

القسم الأول: مشابهة الكفار فيما هو من ديننا، يعني عندما يكون الكفار يفعلون شيئًا قد أمرنا نحن به في شريعتنا مثل الحجاب وغطاء الوجه، وإرخاء اللحى للرجال، فلو افترضنا أن جماعة من الكفار وافقونا في ذلك، فنساؤهم محجبات ورجالهم قد أرخوا لحاهم، فهل يُقال خالفوهم فانزعن الحجاب واحلقوا اللحى؟ بالطبع لا، لأن هذا مما أمرنا به ديننا، والدين قد اكتمل والوحي قد انقطع فلا يتبدل الأمر ولا يتغير، ولا تضر موافقتنا لهم في مثل ذلك.

القسم الثاني: وهو مشابهة الكفار فيما لم يأمرنا به الشرع، وليس من أصل ديننا، فمشابهة الكفار في هذا النوع لها ثلاث حالات:

١. مشابهة الكفار فيما هو من خصائص دينهم، يعني: معتقداتهم والعبادات والطقوس التي يفعلونها في عباداتهم وأحوالهم الروحية، فهذا من أشد أنواع المشابهة وأخطرها قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم إما أن يُفعل لمجرد موافقتهم -وهو قليل- وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل، وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا أو الآخرة، وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفرًا بحسب الأدلة الشرعية".

٢. مشابهة الكفار فيما هو من خصائص عاداتهم، وهي الأمور الاعتيادية التي يفعلونها دون أن تكون من طقوسهم المتعلقة بدينهم ومعتقداتهم، ولكنها مما يختصون به ويتميزون به عن غيرهم، كلباس معين تميزوا به أو أعياد خاصة يحتفلون بها غير أعيادهم الدينية، وهذا كله محرم أيضا حيث أبطل النبي ﷺ أعياد الجاهلية، ونهى أصحابه ﷺ عن مشابهة الكفار في زيهم وأوانيهم وغير ذلك.

٣. وهذه هي الحالة التي أشكلت عليك: مشابهة الكفار فيما ليس من خصائصهم، يعني أنه ليس من عباداتهم المخصوصة، وليس من عاداتهم التي تميّزهم، فهذا من الأمور المشتركة بين الناس التي يباح فعلها وعفى عنها الشارع، خاصة مالم يكن من العادات الشكلية، بل كان فيه مصالح حقيقية للمسلمين، كالمخترعات العصرية ووسائل التواصل والطب الحديث ونحوها من المصالح المتحققة، وما عدا ذلك فالمخالفة فيه أفضل.

وبناء على ما سبق، لا يمكن أن تقارن بين من يستفيد من المخترعات والخدمات، وبين من يحاكي العادات ويقلد العبادات.

* رواه أبو داود في كتاب اللباس باب في لبس الشهرة (٤٠٣١/٤/ ٤٤) وقال الألباني : حسن صحيح.
* رواه ابن حبان في باب فرض متابعة الإمام ، ذكر الأمر بالصلاة في الخفاف والنعال إذ أهل الكتاب لا يفعلونه (٢١٨٦/ ٥/ ٥٦١)
* رواه مسلم في كتاب الطهارة باب خصال الفطرة (٢٦٠/ ١/ ٢٢٢)
* رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر (٢٠٧٧/ ٣/ ١٦٤٧)

شبهَة

يعني هل المشكلة أن هذه الأمور جاءتنا من الهندوس والبوذيين؟ كثير منها وسائل علاجية لا يهم جاءت من أين، **وكما أنكم لا تمانعون الذهاب للطبيب النصراني واليهودي والهندوسي بل حتى الملحد، ينبغي أن لا تمانعوا أخذ العلاجات الروحية والتكميلية منهم كذلك،** فالواقع أنه لا فرق بين الأمرين! وفي حديث: [الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها] دليل على جواز أخذ الحكمة من الكفار .

رَد

أتفق معك أنه لا بأس بالتداوي عند الطبيب الكافر الثقة، وإن كان الطبيب المسلم أفضل وأولى، قال ابن القيم رحمه الله: "في استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط الدؤلي هاديا في وقت الهجرة -وهو كافر- دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب، والكحل والأدوية ونحوها، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة، ولا يلزم من مجرد كونه كافراً أن لا يوثق به في شيء" *

ولكن ثمة تنبيه مهم جدًا، وهو التفريق بين الطب المادي التجريبي المجرد من الفكر والمعتقد، وبين الطب المبني على الدين والاعتقاد والتوجه الفلسفي. فمثلًا لو جاء رجل نصراني لطبيب مسلم ليجري له جراحة في جسده، فهل نقول إن هذا المريض لا بد أن تكون لديه قناعة بدين الطبيب المسلم؟ بالطبع لا، فالطريقة العلاجية التي يستخدمها مبنية على العلم والتجربة وليس على الخلفيات الدينية، ولذلك لا فرق بين العملية الجراحية -في ذاتها- التي يجريها المسلم أو غيره.

لكن لو جاء ذلك المريض النصراني إلى راقٍ مسلم يرقي بالقرآن الكريم والأدعية المأثورة، والتزم الرقية وحرص عليها، فهل هذه الحالة مثل الأولى؟ أم نقول هنا لا بد أن تكون لدى المريض قناعة بأن القرآن فيه شفاء؟ وهذه عقيدة دينية إسلامية أثرت في عقيدته النصرانية؟ لا شك أن الذي يذهب للرقاة لا بد أن تكون لديه نوع قناعة بالاعتقاد المرتبط بها، بخلاف الصورة الأولى التي لا يلزم منها شيء من ذلك.

وكذلك لو ذهب المسلم لطبيب هندوسي عالجه بأدوية ثبت تأثيرها بالمنهج العلمي التجريبي، تتعلق بتشريح الجسم البشري وتركيبته ووظائفه الحيوية دون اعتبار لعقيدته ودينه، لا فرق فيها بين مسلم وكافر، فهذا من التعاملات المباحة والفوائد الإنسانية المتبادلة، بينما لو ذهب إلى هندوسي ليداويه بوسائل نابعة من الفكر والمعتقد الهندوسي لكان الأمر مختلفًا، ولا ينتقل هذا الفعل من الإباحة إلى التحريم.

أما حديث [الحكمة ضالة المؤمن] فلا يصح الاستدلال به على ما تريده لعدة أسباب، من أهمها:

١. أن الحديث **ضعيف** لا يصح عن النبي ﷺ على الأرجح، ومن ثم لا يصح الاحتجاج به كدليل شرعي.

٢. أنه لو صح الحديث أو صح معناه لم يصح الاستدلال به على أخذ الفلسفات والمعتقدات الباطلة من الشرق أو الغرب، فإن هذه الأمور ليست من الحكمة.

٣. أن كثيراً من الناس لا يستطيع التمييز بين دقائق المسائل العقدية، ولا يتصور وجه مخالفة بعض الأفكار والممارسات للعقيدة الإسلامية، ومن ثم قد يظن أنه يأخذ "الحكمة" من أولئك الفلاسفة وهو -في الواقع- يتبنى أفكار تتنافى مع كمال التوحيد أو تنقض أصله.

ولذلك فإن إطلاق هذه المقولة والاستدلال بها على جواز تبني كثير من الفلسفات الشرقية وتطبيقاتها لا يستقيم شرعًا، ولا يمكن الاحتجاج بها على ما يفعله بعض الناس من الترويج لأفكار فلسفية خطيرة وممارسات مخلة بالاعتقاد تحت ستار "الحكمة".

* بدائع الفوائد (٣/٢٠٨)

شبهَة

الغريب أن هناك من تبنى هذه الممارسات من الصالحين وطلبة العلم، وأفتى بجوازها، ولو كانت فيها مخالفات شرعية ما فعلوا ذلك

رَد

سأذكرك بقاعدة مشهورة تلخص لك الجواب: (يُعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال) ومفادها -باختصار- أنه عند اختلاف العلماء وأقوال أهل العلم لابد من المقارنة بين استدلالات كل فريق، والنظر في حجتهم، ولا يكون القول حقًا بمجرد قول القائل له.

ومع ذلك فإني لا أعلم من له اختصاص واطلاع عميق على الفلسفة الشرقية مع إتقان العلم التأصيلي للعقيدة الإسلامية أفتى بجواز شيء من ممارسات الطاقة أو الرياضات الروحية والقوانين الروحانية وما شابهها، وإنما توجد فتاوى متفرقة لبعض المنتسبين إلى العلم الشرعي ممن ليسوا فعلًا من أهله، أو أقوال نادرة من بعض طلبة العلم الثقات الذين التبست عليهم حقيقة هذه الأفكار والممارسات، أو غابت عنهم أصولها ومآلاتها، فظنوا أنه بالإمكان تنقيتها أو فصلها عن مظاهر الشرك.

وعلى كل حال، فيمكنك المقارنة بين حجة المانع والمجيز، والنظر في الأدلة التي يعرضها كل منهما، وسيظهر لك بوضوح القول الأصوب بإذن الله.

ولو افترضنا -جدلًا- أن الأدلة تساوت عندك، ولم يتبين لك أي القولين أصح، فالأخذ بالأحوط هو الأسلم عقلا وشرعا، فلو أنك كنت في مفرق طرق، وأخبرك أحدهم أن الطريق الأول مهلكة، وأخبرك الآخر أنه آمن، ولم يتبين لك أي الرجلين أصدق وأوثق، لا شك أن العاقل سيحتاط لنفسه ويترك الطريق الذي فيه شك، ويتبع الطريق الأسلم الذي لا شك فيه. وقد قال النبي ﷺ : [دَع ما يريبُكَ إلى مالا يريبُكَ] * وقال عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري: [الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يُوَاقِعَهُ، ألَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألَا إنَّ حِمَى اللَّهِ في أرْضِهِ مَحَارِمُهُ] *.

* رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨/ ٤/ ٢٤٩) وأحمد في المسند (١٧٢٧/ ٢/ ٣٤٧) وصححه الألباني وأحمد شاكر.

* رواه البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢/ ١/ ٢٠)

شبهَة

أخشى أن يكون المانعون الذين ينتقدون هذه "العلوم" كرجال الكنيسة في العصور المظلمة عندما كانوا يحاربون العلم، أو أن يكونوا يخافون مما يجهلون ويحكمون على ما لا يعلمون .

رَد

في الحقيقة لا تصح هذه المقارنة، فالإسلام ومن اتبعه يشجع على العلم والتعلم، وقد كان أول أمر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١]، وبشهادة التاريخ عبر العصور وحتى العصر الحديث لم يثبت أن علماء المسلمين حاربوا العلم والتجربة والتقدم الحضاري المادي على الإطلاق.

ولكن لا بد أن نضبط مفهوم "العلم" ليصح النقاش في المسألة، فليست كل دعوى يدعيها مُدّعٍ تصيرُ علمًا، وكم من العلوم الزائفة التي انتشرت بين الناس حتى ظنوا أنها حقائق مسلمة؟

ولذلك ستجد أن بعضهم يقول مثل هذا في حق من يحارب الخرافة والأوهام التي تتطفل على العلوم التجريبية، فيجعل من أنكر الخرافات محاربًا "للعلم"، وليس الأمر كذلك.

أما قولك يخافون مما لا يعلمون فهذا إن صح في حق عوام الناس وجهّالهم فإنه لا يصح في حق أهل العلم، ويمكنك التحقق من ذلك، فإذا رأيت من يُحذِّر من هذه الممارسات لا تكتفي بالحكم عليه دون أن تطلع على أقواله، وانظر لشواهده واستدلالته، فإن وجدته يحكم بلا أدلة فلست ملزمًا باتباعه، ولكن الواقع المشاهد هو أن الذين تصدوا لخرافيات الروحانية وممارسات "العصر الجديد" هم من أعلم الناس بها، بل قد يفوق علمهم بتفاصيلها علم بعض من يتبناها ويروج لها، ولذلك إذا حذّر هؤلاء منها فإنهم يحذّرون عن علم واطلاع، وليس تحذيرهم نابع عن تخوف من المجهولات والمستجدات، فكم من جديد لم يُحذَّر منه ولم يُحارَب؟ وكم من مسألة توقفوا فيها حتى تتبين لهم حقيقتها؟

فتنبه قبل أن تحكم عليهم، واحذر ان تقع فيما تتهم به غيرك من الحكم على الشيء وأنت لا تعلمه.

شبهَة

ولكن كثير من علوم الطاقة ثابتة فعلًا بالدراسات العلمية، ومن يحذر منها يحذر من العلم وليس من الخرافة.

رَد

سبق أن اتفقنا أن كل دعوى تحتاج إلى دليل، والدليل على أنها "ثبتت علميًا" لا بد أن يتضمن ثلاثة أمور:

١. وجود دراسة تدل على ثبوت الأمر أو ثبوت منفعته، فكثير من الناس يدعي وجود الدراسات والتجارب ولكنه لا يقدم شيئًا ملموسًا.

٢. أن تكون الدراسة معتبرة وموثوقة، بأن يكون مصدرها جهة علمية محايدة ومحترمة، كالبحوث المحكمة في الجامعات الموثوقة، ولا يكون مصدرها مقالات في مجلات أو دراسات فردية أو جامعات روحانية تتبنى هذه الأفكار ولا تلتزم بالمنهجية العلمية.

٣. أن تكون الدراسة متعلقة بمحل النزاع، وليست في وجود منافع عامة في الممارسة، وهو ما سأوضحه لك في المثال التالي:
فلو قيل لنا مثلًا: هناك دراسات علمية تثبت فوائد العلاج "بالريكي" فلا بد من التحقق من وجود الدراسة ومصدرها، ثم النظر في طبيعة الدراسة وما الذي تتناوله تحديدًا؟ هل هي تتناول آلية عمل الطريقة العلاجية، وإثبات وجود "الطاقة الحيوية" التي يتم التداوي بها يزعمهم؟
أم أنها ملاحظة لعينات من الناس تمت معالجتهم بالريكي فتغيرت حالتهم الصحية للأفضل؟

قد تقول: ما الفرق بين النوعين ما دامت الجهة التي أجرت الدراسة موثوقة؟

الفرق هو أن النوع الأول يختبر دعواهم بوجود "طاقة شافية"، ومنافذ لدخولها، ورموز مؤثرة، وأجسام أثيرية وغير ذلك، وهي التي تميز الريكي وتجعله طريقة علاجية نصفها بأنها خرافية ومليئة بالمعتقدات الشركية وهذا النوع من الدراسات لا وجود له على الإطلاق، ولا يمكن أن يدعي مدعٍ أن لديه شيء من ذلك.
أما النوع الثاني فلا ينظر في الوسيلة العلاجية إطلاقًا، وإنما ينظر في الاقتران بينها وبين إمكانية وجود تحسن في حالة المريض، دون فحص الأسباب وراء هذا التحسن ولا التحقق من المصدر المؤثر أو آلية تأثيره، ولذلك يعد هذا النوع من الدراسات من أضعف الدراسات العلمية، ولا يدل على ثبوت حقيقة الوسيلة العلاجية ولا حتى ثبوت تأثيرها الفعلي، وإنما يرصد وجود نوع من التحسن في بعض الحالات، مع عدم وجود أضرار صحية مباشرة.

ولذلك فإن من يزعم أنَّ لديه "دراسة علمية" تثبت شيئًا من العلوم والممارسات الروحانية الزائفة لا يخرج زعمه عن الاحتمالات التالية:

١. ألا تكون هناك دراسة أصلًا.
٢. أن توجد دراسة ملفقة مكذوبة ليس لها مصدر ولا حقيقة.
٣. أن توجد دراسة منفردة مصدرها غير موثوق ولا معترف به في الأوساط العلمية المحترمة.
٤. أن توجد دراسة علمية حقيقية ولكنها لا تتناول الممارسة وإنما تقيس التحسن عند بعض المتعالجين.

وكل هذه لا تعتبر دليلًا على الثبوت العلمي.

شبهَة

أليس التحسن في الحالة المرضية دليل على صحة الوسيلة العلاجية؟ **وأنا شخصيا قد وجدتُ تأثيرا وأعرف الكثيرون الذين استفادوا منها كذلك** فاستفادة الناس من الممارسات ولمسهم لأثرها بشكل مباشر أليس دليلا على حقيقتها وصحة ما يقال فيها؟

رَد

لا، ليس بالضرورة، فمجرد الاقتران والتجارب الفردية لا تدل على السببية، وإن كان وجود نوع من الأثر المقترن يكفي في إقناع كثير من عوام الناس بصحة الدعوى إلا أنها غير معتبرة كوسيلة لإثبات تأثير السبب، فضلًا عن التحقق من العلاقة السببية، وذلك نظرا لما يشاركها من احتمالات متعددة لا يمكن استبعادها إلا من خلال اتباع المنهج العلمي في التجربة والاختبار.

شُبهَة

إذاً **كيف يوجد تأثر وتحسن في الحالة المرضية** إذا كانت الطريقة العلاجية ليست مؤثرة على الحقيقة؟

رَد

هناك تفسيرات كثيرة، أوجز أهمها فيما يلي:

١- **قد يكون المرض أنهى مساره الطبيعي**، حيث أن كثيرا من الأمراض (غير المزمنة أو الخطيرة) لها خاصية الحد الذاتي، فهي تُشفى -بإذن الله- تلقائيا بعد مرور مدة معينة، فلا يكون التحسن بسبب الطريقة العلاجية وإنما لانتهاء مدة المرض طبيعيا.

٢- **كثير من الأمراض لها صفة الدورية**، أي أن هذه الأمراض تزداد حدتها وتنقص بشكل دوري (كالتهاب المفاصل، وأمراض الحساسية)، وحيث أنه من الطبيعي أن يلجأ المريض إلى العلاج في فترات الشدة، فإنه عندما تبدأ الأعراض بالتناقص يتوهم المريض أنه قد شُفي بسبب ما تلقاه من علاج، بينما الواقع أن المرض قد أخذ مساره الطبيعي فخفت الأعراض لتعود حدتها بعد مدة.

٣- **الشفاء التلقائي (Spontaneous Remissions):** فقد يكون الشفاء من المرض هو نتيجة لما يسمى: الشفاء التلقائي، حيث يشفى المريض دون تلقي أي نوع من أنواع علاج، يحدث هذا حتى في الأورام السرطانية الخطيرة وإن كان حدوثه يعد أمرا نادرا.

٤- **تأثير العلاج الوهمي (Placebo) أو التخييل:** وهو السبب الرئيسي لما يُروى من حالات الشفاء العجيبة الناتجة عن الطرق الاستشفائية الباطلة، ويساهم التخييل في تحسين الحالة المرضية نظرا لاعتبارات متعددة منها: الإيحاء، قوة الاعتقاد، التوقع، وتحويل الانتباه. وقد كانت تلك العوامل سببا في تحصيل راحة ملحوظة عند من تلقوا علاجا وهميا، بل إنه في بعض الحالات قد يحدث تغيرا فعليا في الحالة المرضية.

٥- **بعض الأمراض التي يعتقد شفاؤها هي أمراض مرتبطة بأسباب نفسية واجتماعية (Psychosomatic) تزول بزوالها**، فكثير من الآلام الجسدية تنتج عن الضغوط والمنغصات النفسية والاجتماعية، ومن ثم تزول بالطمأنينة والدعم النفسي، وهو ما يقدمه كثير من المعالجين بالطب البديل وفي تطبيقات الفلسفة الشرقية خاصة، ولذلك يعتقد كثير ممن كان يتوهم أنه مريض أنه الآن شفي، ومثل هذه الحالات تزيد مما يُعدُّ في نسب الشفاء عند المعالجين الدجاجلة.

٦- **زوال الأعراض وليس المرض:** وهو ما قد توفره بعض العلاجات «البديلة»، فيتوهم المريض بأنه شفي، حيث تعتبر مسكنة للألم، إما نفسيا أو ماديا.

٧- **الشفاء قد يكون بتأثير العلاج التقليدي**، حيث يجمع بعض المرضى بين العلاج البديل والعلاج التقليدي، وبعد أن يتماثل للشفاء كثيرا ما ينسب المريض الشفاء -بعد الله- إلى العلاج البديل.

٨- **الخطأ التشخيصي من الطبيب أو من المريض نفسه:** فالمريض الذي يظن أنه شفي قد لا يكون مصابا بالمرض أصلاً، وقد يعيش المريض مدة أطول مما توقعه الطبيب المتشائم فيعزو إطالة عمره إلى العلاج البديل.

٩- **تحسين الحالة النفسية للمريض يساعد في تقبل الجسد للعلاج التقليدي:** حيث يتمتع كثير من المعالجين بالشخصيات الجذابة والقوية، التي تبعث بالتفاؤل لدى المريض وهو مما يساعده على تغيير عادات أكله ونومه واختلاطه بالناس.. الخ، كل ذلك يساعد في تهيئة الجسم لتقبل العلاج التقليدي الذي يكون الشفاء -بعد الله- بسببه.

١٠. **دور القناعة الشخصية:** فإن الذي لديه قناعة قوية بالعلاجات البديلة يستطيع إقناع نفسه بأنه تحسن وجزء من ذلك يعود إلى حالة الإحباط التي قد يُحِّس بها الإنسان عند عدم نجاح وسيلة علاجية كان قد بذل فيها المال والوقت، هذا بالإضافة إلى الإبقاء على احترام الذات حيث يدخل بعضهم في هذه العلاجات بكل اندفاع مما يسبب له الحرج عند عدم نجاحها وهذه الأمور قد تحصل عند الإنسان دون وعي منه أو قصد.

١١- **أن يكون الشيطان سببا في الأذى أو المرض**، فإذا لجأ الإنسان إلى الوسائل غير المشروعة، رضي الشيطان فكف عنه إمعانا في فتنته وإضلاله وقد قالت امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن عبدالله رأى في عنقي خيطا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[إن الرقى والتمائم والتولة شرك]**. فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت! فقال عبدالله رضي الله عنه: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيتها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: **[أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً]** *. ولذلك فإن التجارب الفردية ليست كافية لاعتبار السبب مؤثرا **«ولو انتفع بعض الناس بذلك، لأن ذلك قد يوافق القدر فيظن أنه بسبب هذا الشخص، وقد يكون مرضه من أعمال الشياطين فيغروه بسؤال هؤلاء المشركين والذهاب إليهم، فإذا سألهم تركوا إيذاءه»** *

فإذا استحضرت كل هذه الاحتمالات علمت أن مجرد تحسن بعض الأفراد عند ممارسة الطرق العلاجية الوهمية لا يعني أنها فعالة أو نافعة، فضلا عن أن يكون ذلك دليل على كونها خالية من المحظورات العقدية ومباحة شرعا.

* رواه أبو داود في كتاب الطب باب في تعليق التمائم (٣٨٨٣/ ٤/ ٩) وابن ماجة في كتاب الطب باب في تعليق التمائم (٣٥٣٠/ ٢/ ١١٦٦) وأحمد في المسند (٣٦١٥/ ٦/ ١١٠) وصححه الألباني.

* فتاوى اللجنة الدائمة: ١ / ١٧١ - جمع: أحمد الدويش.

شبهة

أنت تقول إن هذه الممارسات ليست ثابتة علميًا، وأنا أعرف عددًا من الأطباء والفيزيائيين والمختصين في العلوم الطبيعية يؤيدون هذه الممارسات ويروجون لها، فكيف تكون غير علمية؟

رَد

لا بد أن تفرق بين تخصص الشخص وبين معتقداته وقناعاته الشخصية، فالطبيب المسلم -مثلًا- يعتقد بتأثير الرقية الشرعية، وربما أرشد مرضاه للدعاء والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، فهل هذا يعني أن هذه الأمور الشرعية "طبية"؟ وهل يعني أنها من الأمور التي يمكن اختبارها في المختبرات وإخضاعها للتجارب العلمية لقياس أثرها؟ بالطبع لا.

فهذا الجانب يمثل اعتقاد الطبيب ولا يمثل تخصصه العلمي، وكذلك الفيزيائي الذي يعتقد بوجود "الشاكرات" أو عالم الأحياء الذي يمارس "اليوغا"، فمجرد قناعاتهم الشخصية بهذه الأفكار والممارسات لا يعني أنها ثابتة أو أنها "علمية"، بل يلزمه -كما يلزم غيره- أن يثبت مايزعمه بالمنهج العلمي المعروف، فلا تلتبس عليك معتقدات شخص ما وتخصصه.

شبهَة

في المثال الذي طرحته ذكرت الطبيب المسلم والرقية والدعاء، وهذه أمور لا يمكن اختبارها في المختبرات العلمية، بل هي معتقدات إيمانية نعلم يقينًا أنها حقيقة رغم ذلك، ومثلها كثير من المعتقدات الإسلامية التي لا يمكن مشاهدتها ولا إثباتها بالحس، فلماذا تؤمن بهذه المعتقدات ثم تذم غيرك وتلزمه بالدليل العلمي المادي على معتقداته؟

رَد

لأن هناك فرق كبير بينهما، يتبين لك عندما تتصور طرق إثبات "المعرفة"، أو الطرق التي نعلم بها بأن شيئًا ما حق أو باطل، حقيقة أم وهم؟ وهل السبب المعين حقيقي مؤثر أم وهمي مزيف؟

فالمعارف -في الجملة- تنقسم إلى قسمين: معرفة دنيوية مشهودة، ومعرفة غيبية دينية، أما المعارف الدنيوية فتثبت بالحس والعقل والتجربة المطَّردة، ولها ضوابط وصفات مخصوصة، وأما المعارف الغيبية فتثبت بالوحي والنص الشرعي الصحيح، ولا طريق غير ذلك لمعرفتها، وكذلك الأسباب، لا يمكن أن تثبت إلا بالطريق الشرعي (الوحي) أو بالطريق الكوني (التجربة المطَّردة)، وما عدا ذلك فأسباب وهمية أو شركية.

وهنا يأتِ الجواب على استفسارك، فإن الأسباب الشرعية -كالرقية بالقرآن مثلًا- قد لايمكن اختبارها في المختبرات، ولا تجربتها وفقا للمنهج العلمي الحديث، وكذلك كثير من المعتقدات الإسلامية، كالملائكة والجن وعذاب القبر ونعيمه، ومع ذلك نحن مستيقنون بثبوتها لأجل ورودها بالنصوص الشرعية الصحيحة، فطريق معرفتنا بهذه المعارف الغيبية هو الوحي، أما "أجسام الطاقة" و"الشاكرات" ونحوها فلا يستند المؤمن بها إلى دليل علمي تجريبي ولا إلى دليل شرعي ديني، فكيف يمكن مقارنتها بالأسباب الشرعية والمعتقدات الغيبية الإسلامية؟

وبهذا أستأذنك لإتمام الحوار في وقت لاحق، وأسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



آمين، وهو كذلك، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .